الفصل العشرون

حقوق أهل البيت

بعد توضيح معنى "أهل البيت" في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبيان هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في وجوب توقير أهل البيت ومحبتهم وموالاتهم، وبعد الرد على الأطروحات التي نسبت لسيدنا علي ﷺ وولديه الحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين الإمامة والولاية على المسلمين والعصمة، بعد كل ما سبق أجد من المناسب هنا أن أقدم خلاصة موجزة عن الحقوق المقررة لأهل البيت في الشريعة الإسلامية وعند فقهاء المسلمين.

١ ـ حق المحبة والموالاة والنصرة للمؤمنين الصالحين من أهل بيت النبي صلى الله عليه، تنفيذا لوصية الرسول ﷺ بهم، في قوله: أوصيكم الله في أهل بيتي. وواضح طبعا أن الإيمان والتقوى هما الأساس لكل الحقوق الشرعية لأهل البيت، فمن كان من خاصة قرابة النبي ﷺ وهو على غير دين الإسلام لم تنفعه هذه القرابة بشيء أبدا، وأبو لهب خير مثال على ذلك، وواضح أيضا أن هذا الحق والحقوق الأخرى المبينة

لاحقا مكفولة - فقط - للمنتسبين حقًّا وصدقًا لأهل البيت وليس للمدعين هذا النسب زورًا وكذبًا.

ويدخل في هذه التوصية كل ما يسر خاطر النبي ﷺ من وجوه العناية والرعاية بأهل بيته الكرام البررة، من ذلك تقديم أهل البيت وتكريمهم، وتبجيل العلماء والزعماء منهم وتوقيرهم، وإبداء الاحترام والتقدير الكبيرين لعامتهم، والدفاع عنهم عند الحاجة ونصرتهم، وترويج فضائلهم، ومحبتهم الحب الصافي الصادق لقرابتهم من رسول الله ﷺ.

٢ ـ الصلاة والسلام على آل محمد في التشهد الأخير من كل صلاة.

٣ ـ أمر القرآن الكريم بمنح أهل بيت النبي ﷺ حقهم من خمس الغنائم التي تنالها الدولة المسلمة من معاركها مع خصومها المتربصين بها. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾. (الأنفال: ٤١) وقال تعالى: "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل". (الحشر: ٧)

فهم المسلمون من التوجيه القرآني الكريم أن أربعة أخماس الفيء أو الغنائم التي كانت تأتيهم من معاركهم تمنح للمقاتلين، وأن خمسها الباقي يتصرف فيه النبي ﷺ أو الحكومة الشرعية للدولة المسلمة بعده ويوجه لهذه المصارف: لله وللرسول، ولذي القربى، واليتامى،

والمساكين، وابن السبيل. وكان سهم ذوي القربى يوزع في حياة رسول الله ﷺ على أهله وقرابته من بني هاشم وبني عبد المطلب، وهم الذين صمدوا معه في الشعب عندما حاصرهم طغاة قريش في المرحلة المكية من دعوة الإسلام.

منح أهل البيت حقهم من هذا الخمس؛ لأن النبي ﷺ أوضح في حديث شريف أن الزكاة والصدقات لا تحل لمحمد وآل محمد، فهذه الصدقات طهارة مال المسلم، ولها مصارفها المعروفة، وتحريمها على أهل بيت النبي ﷺ تكريم لهم ورفع لهم فوق كل شبهة، حتى لا يقول أحد من الناس إنهم يعيشون على زكاة المسلمين وصدقاتهم.

سهم أهل البيت عند جمهور علماء المسلمين ثابت فيما يتصل بالغنائم التي تحصل عليها الدولة المسلمة، أما الأموال التي يحصل عليها المسلم من كده وعمله فليس فيها هذا الخمس؛ لأن الآية الكريمة تحدثت عن الغنيمة لا عن عموم الرزق الذي يتاح للمسلم.

وبما أن الحروب تغير نظامها في العالم اليوم، فإن هذا جعل سهم أهل البيت من الغنائم يختفي في واقع المسلمين مع اختفاء الغنائم نفسها، بل إن كثيراً من دول العالم الإسلامي أصبحت هي كلها غنائم للقوى الاستعمارية المتوثبة الطامعة في خيرات العالم خلال القرنين الماضيين.

ولعل من أبواب الاجتهاد المفتوحة أمام علماء المسلمين أن ينظروا في مصدر آخر يمكن للدولة المسلمة الصرف منه على المحتاجين

من أهل بيت النبي ﷺ في عصر اختفت منه ظاهرة الغنائم بمعناها التاريخي المعروف. إن اجتهادا في هذا السياق لا يخالف نصاً شرعيًّا آخر، ويقرب من مقصد الوفاء بوصية النبي ﷺ بأهل بيته لن يأتي للمسلمين إلا بخير.

أما علماء الشيعة الإثني عشرية فرأوا أن الخمس يكون من عموم دخل المسلم، والشائع عندهم أن المسلم يعطي خمس دخله السنوي للمرجع الفقهي الذي يقلده أو لوكيله، ومن هنا بقي إخراج الخمس تقليدًا باقيًا عندهم، مع أن فقهاءهم مختلفون في شأنه، فبعضهم يرى إسقاطه جملة بسبب غياب الإمام المعصوم، وبعضهم يرى كنزه لحين ظهور الإمام المعصوم على أساس أن الأرض ستخرج له هذه الكنوز. وآخرون يرون عزله وحفظه لعل الإمام يخرج في حياتهم، فإن لم يخرج أوصوا به لثقة من الناس يحفظه لهم في انتظار خروج الإمام.

* * *

وواضح من كل ما تقدم أنه لا يوجد أي دليل صريح قطعي الورود والدلالة يعطي لأحد من أزواج النبي وذريته وأقاربه عصمة مقررة له من الله، فكلهم بشر كسائر البشر، أو يعطي لأحد منهم حق إلاهيًّا في الحكم والإمامة بعد النبي ﷺ، أو القدرة على علم الغيب والاطلاع على أعمال العباد والتحكم في الريح أو السحاب. هذه أمور يختص بها رب العباد، الأمر أمره وحده، له مقاليد السماوات والأرض، يقول للشيء كن فيكون، وهو على كل شيء قدير.

وأهل البيت لا يحتاجون لذلك أصلا، فهم من أعلم الناس بكتاب

الله وسنة نبيه ﷺ، ويعرفون أن الفاضل والصالح من المسلمين هو من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبيوم المعاد وبالجنة والنار، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا، وتجنب المحرمات، وسبق غيره في إتيان العمل الصالح، من بر بالوالدين ونصرة للحق ومساعدة للمحتاجين ودعوة للإسلام والتزام بمكارم الأخلاق.

وقد سبق الكثير من أعلام أهل البيت في هذا المجال فقدموا القدوة الحسنة والمثال الصالح للمسلمين ونصحوا مخلصين لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وضحوا بأنفسهم وأبنائهم في سبيل نشر رسالة الإسلام وقيمه النبيلة السامية بين الناس، ودفاعاً عن الرسول ﷺ والدولة الإسلامية الأولى التي قامت في المدينة المنورة.

فجزاهم الله عن الإسلام وعن النبي ﷺ وعن المسلمين أعظم الجزاء وأجزله وأوفاه، ورفع قدرهم وذكرهم أبدا بين الناس وفي الملأ الأعلى، وأدخلهم بفضله ورحمته في عليين، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا.

ووفق الله أمة الإسلام قاطبة للقيام بحقوق أهل البيت خير قيام، وحبهم وبرهم وموالاتهم، والتنافس في نشر فضائلهم، وتلبية طلب سيد الخلق وإمام الرسل وخاتم النبيين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام عندما أوصى عموم المسلمين بعترته أهل بيته.